القراءات القرآنية في كتابات المستشرقين
دراسة وتحليل لآراء اجناتس جولد تسيهر في كتابه مذاهب التفسير الإسلامي

م.د. محمد حميد عواد

جامعة القادسية-كلية التربية-قسم علوم القرآن والتربية الاسلامية

المقدمة

الحمد لله المتوحد بالقدرة، المنفرد بالكبرياء، حمداً يوافي ما غمرنا به من النعم، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين أما بعد: مازال هذا القرآن الكريم وسيبقى أبد الدهر، المعين الصافي والماء العذب لسائر العلوم الإسلامية والعربية، ومازال يبهرنا بآياته البينات وحجته الناصعة القوية. والقراءات القرآنية أحد اهم روافد علوم القرآن الكريم، التي بذل في تحقيقها ودراستها علماء الامة قديما وحديثاً؛ فموضوع الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، وما قام عليها من القراءات القرآنية يتطلب اهتماماً بالغاً، واستشعار تأثيره دائماً، فهو يتعلق بالمصدر الأول في الإسلام، وهو: القرآن الكريم الذي يعد اساس هذا الدين.ومعرفة موقف المستشرقين من القراءات القرآنية من المسائل العلمية الهامة كونها تتعلق بالنص القرآني؛ فوقع اختياري على هذا الموضوع (**القراءات القرآنية في كتابات المستشرقين دراسة وتحليل** لآراء اجناتس جولد تسيهر في كتابه مذاهب التفسير الإسلامي) لمعرفة ما فيه من أفكار واطروحات حول هذا الموضوع .اذ يقدم هذا البحث عرضاً مجملاً للرؤية الاستشراقية حول والقراءات القرآنية، ومدى تعامل المستشرقون معها، وذلك بتناول الموضوع وفق المنهج العلمي الوصفي التحليلي، ولم يقصد البحث استقصاء جميع اراء المستشرقين حول القراءات القرانية بل الاكتفاء بأبرز الآراء التي تم طرحها من قبلهم، وذلك بالرجوع إلى أهم المصادر الاستشراقية فضلا عن الدراسات التي تناولت جهودهم.

الباحث

المبحث الأول: التعريف بمفهوم الاستشراق والقراءات

يتناول هذا المبحث التعريف بالاستشراق لغة واصطلاحا، فضلا عن تناول مفهوم الاحرف السبعة والقراءات من حيث اللغة والشرع، اذ تشكل تلك المفاهيم اساس الموضوع .

الاستشراق (Orientalism) في اللغة:

ظهرت في انكلترا حوالي سَنة (١٧٧٩م) كلمة (Orientalist بالانكليزية) التي تعني في العربية: مُستشرق، و جاء في قَاموس الأكاديمية الفرنسية: (Dic. Del Academie Franc Aise) عام (١٨٣٨م) كلمة (Orientaliste): التي تعني بالعربية: الاستشراق [1].

يُعرّف الاستشراق اصطلاحا بأنَّه: " تعبيرٌ أطلقه الغَربيون على الدراسات المُتعلقة بالشرقيين، وشعوبهم، وتاريخِهِم، وأديانهِم، ولغاتهم، وأوضاعهم الاجتماعية، وبلادهم، وأرضهم وحضارتهم، وكل ما يتعلق بهم "[٢] وَيذهب عبد المنعم فؤاد إلى تَعريف الاستشراق بقوله: " وأرى أنَّ القول الأدق إنَّ الاستشراق هو: دراسات أكاديمية يقوم بها غَير المُسلمين من غير العرب سواء من الشرق أو الغرب للإسلام عقيدة وشريعة ولغة وحضارة بقصد التشكيك في هذا الدين القويم وإبعاد الناس عنه "[3].

الأحرف السبعة:

الأحرف لغة: جمع قلة من (حرف) كفلس وأفلس. ومما ورد عنه في لسان العرب: "الحرف من حروف الهجاء معروف، واحد حروف التهجي، والأداة التي تسمى الرابطة، لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل، كعن وعلى ونحوهما.....والحرف في الأصل: الطرف والجانب، وبه سمي الحرف من حروف الهجاء. وحرفا الرأس: شقاه، وحرف السفينة والجبل جانبهما، والجمع أحرف وحروف وحرفة. قال الأزهري: وكل كلمة تقرأ على الوجوه من القرآن تسمى حرفاً"[١]. وقال أبو عمرو الداني: فأما معنى الأحرف التي أرادها النبي صلى الله عليه وآله وسلم هاهنا فإنه يتوجه إلى وجهين: أحدهما أن يكون يعني أن القرآن أنزل على سبعة أوجه من اللغات..، والحرف قد يراد به الوجه بدليل قوله تعالى {وَمن النَّاس من يعبد الله على حرف فَإِن أَصَابَهُ خير اطْمَأَن بِهِ وَإِن أَصَابَته فتْنَة انْقَلب على وَجهه}[٤]؛ فالمراد بالحرف هاهنا الوجه الذي تقع عليه العبادة... فلهذا سمى النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه الأوجه المختلفة من القراءات، والمتغايرة من اللغات أحرفا. على معنى أن كل شيء منها وجه على حدته غير الوجه الآخر... والوجه الثاني من معنى الأحرف: أن يكون – صلى الله عليه وآله وسلم – سمى القراءات أحرفا على طريق السعة، كنحو ما جرت عليه عادة العرب في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه، وتعلق به،... فلذلك سمى النبي صلى الله عليه وآله وسلم القراءة حرفا، وإن كان كلاماً كثيراً... على عادة العرب في ذلك، واعتمادا على استعمالها نحوه [٥].

القراءات القرآنية:

القراءات لغة: "جمع قراءة، وهي مصدر سماعي من الفعل قرأ بمعنى تلا"[٦]، ومن معاني القراءة في اللغة: الجمع. وهي في مفردات القرآن: "ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل"[٧].

القراءات اصطلاحا: يعرف أبي شامة أن القراءات "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها، معزواً لناقله"[٨]. وبوصف (القراءات) بالقرآنية تتحدد الألفاظ المقروءة على وجوهها الصحيحة، بنسبتها إلى القرآن الكريم كلام الله تعالى. ثم بإضافتها إلى أئمتها وأعلامها تتحدد – أيضا – وجوه التلاوة التي تلقاها، ثم لقنها كلٌ منهم، فتسمى القراءة باسمه، وتنسب إليه مجرد نسبة، تميز وجوه كلٍ فقط. "فلذلك أضيفت إليه دون غيره من القراء، وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم، لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد))[٩].

المستشرقون وجهودهم في حقل القراءات

قام المستشرقون –قديما وحديثا– بدراسات و بحوث عديدة في ميدان القراءات القرآنية، لما لها من تعلق باصل القرآن الكريم، متناولين جميع جوانب القراءات القرآنية، من تأصيلها الشرعي، إلى وضعها اللغوي، إلى نقلها التاريخي ...

فتوجهت الدراسات الاستشراقية بحث حول:

أ– مصدر القراءات القرآنية واستناده إلى الوحي المعصوم، فطعنوا في الأحرف السبعة.

ب– نقلة القراءات القرآنية أنفسهم، حيث هم أوعيتها الحافظة الضابطة لها رواية ودراية في كل وقت، فطعنوا في تلقي الصحابة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفيمن بعدهم كذلك.

ج– بقية أركان القراءات القرآنية، وسيلةً ناقلة، بالكتابة، واللغة[١٠].

تتناول الرؤية الاستشراقية للأحرف السبعة والقراءات القرآنية في دراسات منشورة حول القرآن الكريم عامة، وفي مؤلفات مستقلة، أو في دوائر المعارف الموسوعية، ونحو ذلك من مؤتمرات ومواقع الكترونية وغيرها.

فمن كتبهم:

أ– مدخل تأريخي نقدي إلى القرآن، رسالة من تأليف اليهودي جوستاف فايل (١٨٠٨–١٨٨٩م).

ب– تاريخ القرآن، نشر عام ١٨٦٠م، من تأليف تيودور نولدكه الألماني (١٨٣٦–١٩٣٠م)، وله أيضاً رسالة دكتوراه عنوانها:

ج– أصل وتركيب سور القرآن.

د– مذاهب التفسير الإسلامي.

هـ– التطور التاريخي للقرآن، بحث للإنجليزي إدوارس.

و– العقيدة والشريعة في الإسلام، كلاهما من تأليف اليهودي المجري اجنس جولد تسيهر(١٨٥٠–١٩٢١م).

ز– جمع القرآن تأليف: جون جولكر.

ح– المدخل إلى القرآن، للفرنسي ريجيس بلاشير. هذا إلى ما قام به آخرون مثل: شيفالي، برجشتراسر، وبرتزل، ثم آرثر جيفري، وكازانوفا، من تعليقات على الكتب، وكتابة المقدمات لتحقيقاتها، ونحو ذلك في فقرات الكتب الاستشراقية الأخرى، من ترديد الآراء وتضخيمها فيما بينهم.[١١] وغيرها من الجهود.

المبحث الثاني: المستشرقون وآراؤهم في القراءات والاحرف السبعة

يتناول هذا المبحث موقف المستشرقين من: الاحرف السبعة وعلاقتها بالقراءات القرآنية، فضلاً عن شروط القراءات الثلاثة المتمثلة: بصحة سندها الى رسول الله عليه الصلاة والسلام، و رسم المصحف العثماني، بالاضافة الى تناسبها مع وجه من وجوه العربية، خاتماً بنماذج تطبيقية حول تعامل المستشرقون مع الآيات التي جاءت فيها اكثر من قراءة قرآنية.

المطلب الاول: المستشرقون والاحرف السبعة

يصف جولد تسيهر حديث الأحرف بغموض الدلالة، وعدم وضوح موقف العلماء منه كما بقوله: ومقتضى هذا الحديث أن الله أنزل القران على سبعة احرف ينبغي عد كل منها صادرا عن المصدر الالهي وهو حديث وان كان يبدي شبها كبيرا براي التلمود في نزول التوراة بلغات كثيرة في وقت واحد فانه يبدو عديم الصلة بهذا الراي وهو في معناه الصحيح الذي لم يقف علماء الدين الاسلاميون انفسهم موقفا واضحا منه ذكر في التفسير خمس وثلاثين وجها لا علاقة له في الاصل بتاتا باختلاف القراءات[١٢]، ولا يستقيم هذا الوصف مع تمام اعتنائهم بالقرآن الكريم، وما يتصل به أيما اعتناء، وبلغ ببعضهم إلى حد إفراد الأحرف السبعة

بالتأليف، وما كثرة الأقوال المنقولة عن العلماء في المراد بالأحرف السبعة، والتي عدها هو نفسه هنا خمس وثلاثين وجها إلا دليلاً يعلمه على ذلك، فينتقض به قوله، أو ينقضه هو بقوله – بعد ذلك – "وقد ألف أبو شامة كتاباً خاصاً في وجوه التفسير المختلفة لحديث الأحرف السبعة"[١٣]. اما عدد الأحرف السبعة، فيقول جولد تسيهر: وليس مفترضا أن يكون القصد تحديد حسابي ثابت مفهوماً من عدد السبعة في هذا الحديث ... بل المراد ان هذا العدد حتى في حالة اتخاذه دليلا على فروق النص هو افادة معنى الكثرة؛ فالقران نزل على احرف كثيرة العدد وكل منها يمثل على قدم المساواة بأنه كلام الله المعجز[١٤] .ويشكك جولد تسيهر في حديث إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه حين قال: "روي في مجاميع السنة المعتد بها، على الرغم من أن ثقة مثل أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٣هـ أو ٢٢٤) دمغه بأنه شاذ غير مسند" [١٥]. ويرى جولد تسيهر أن اختلاف الأحرف السبعة وقراءة الناس بها يرجع إلى تلك الحرية المطردة إلى حد الحرية الفردية كأنما كان سواء لدى الناس أن يروا النص على وجه لا يتفق بالكلية مع صورته الأصلية[١٦]؛ إلا إنه يناقض هذه الفكرة تماماً حين قال: إن مثل هذه الحرية التي لا تشجع الإيمان الثابت بحصانة نص الوحي المقدس قد أثارت من ناحية أخرى عدم ارتياح في دوائر أشد محافظة في التفكير، وأما إنه لم يكن يعد بديهياً في كل مكان أن تقبل هذه الحرية، لا بالنظر على إنها تغيير عن الحيطة الصامتة فحسب؛ بل بالاعتراف لها بحق أساسي في الصحة، فهذا ما يبدو ظاهرا من القصة التالية التي ترجع كما هو معتاد الى اقدم عهود الاسلام؛ ففي وصف نعيم الجنة الآية (٢٦) من سورة الواقعة ذكر أن أصحاب اليمين ينعمون في (طلح منضود)، وهنا روي عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: (ما شأن الطلح ؟)، إنما هو (وطلع منضود) ثم قرأ {طلعها هضيم}[١٧]. فقال الحاضرون هل تريد تحولها إلى هذا المعنى ؟ فقال علي: إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول[١٨]. ومن هذه القضية ينطلق جولد تسيهر متوسلا بمحور فكرته ألا وهي دعوى الحرية في قراءة القرآن الكريم بالمعنى، مرتباً عليها تلك النتيجة التي طرحها في بداية كتابه مذاهب التفسير الإسلامي حين قال: لا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة مبنية اعترافاً عقدياً على إنه نص منزل أو موحى به يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في نص القرآن[١٩] .

المطلب الثاني: المستشرقون و شروط القراءات

قرر العلماء ان قبول القراءة يشترط فيه ثلاثة شروط

١ – صحة السند

٢ –موافقة وجه من وجوه العربية

٣–موافقة رسم من رسم المصحف

المستشرقون وسند القراءة

تناول المستشرقين سند القراءات القرآنية واتصالها بالوحي عن طريقه رجال السند، وهم القراء في كل طبقة، وأولهم الصحابة رضوان الله عليهم، بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. كان النقل الشفوي ميزة تلك السلسلة التي أثار حولها عدد من المستشرقين تساؤلات واتهامات وتعريضات، بأمانة الصحابة ونقلة القراءات.ومن ذلك اتهام جولد تسيهر للصحابة، والقراء من بعدهم بالتساهل في توثيق نقل القراءات القرآنية بالإسناد الصحيح في قوله: "فإن الرجوع الى الأعلام الكبار ليس أمراً صعباً، مادام ذلك يتعلق بالتصديق القائم على السماع"[٢٠].

المستشرقون ورسم المصحف

يُرْجِع جولد تسيهر اختلاف القراءات الى اختلاف خط المصحف كما بقوله: "وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خاصية الخط العربي، فأن من خصائصه أن الرسم الواحد للكلمة الواحدة قد يقرأ بأشكال مختلفة، تبعاً للنقط فوق الحروف او تحتها، كما أن عدم وجود الحركات النحوية، وفقدان الشكل في الخط العربي، يمكن ان يجعل للكلمة حالات مختلفة من ناحية موقعها من الاعراب، فهذه التكميليات للرسم الكتابي، ثم هذه الاختلافات في الحركات والشكل، كل ذلك السبب الاول لظهور حركة القراءات فيما اهمل نقطه او شكله من القرآن" [٢١] إن إختلاف وجوه القراءات لم ينشأ من مجرد ملابسات فنية ترجع إلى الرسم كما يقول جولد تسيهر[٢٢], في حين ان الرسم لاحق للقراءات وليس سابقاً عليها حتى ينشئها أو يؤثر في نشأتها.ويبين الدكتور عبد الرحمن المطرودي, دور الضبط لوجوه القراءات بالرسم فيقول: إن رسم المصاحف العثمانية شرط قياسي, وليس شرطاً ضابطاً

بمعنى أن رسم المصاحف العثمانية بني على القراءات القرآنية المتواترة, وأي قراءة تخالفه تعتبر غير متواترة, وليست كل قراءة موافقة له قراءة قرآنية فالمعتمد عليه في قراءة رسم المصاحف هو النقل المتواتر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولهذا أرسل الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) مع المصاحف المنتسخة رجالاً يقرئون الناس وفقهاً إلى كل مصر[٢٣]. وهناك كلمات قرآنية كثيرة رسمت بطريقة هجائية معينة وموحدة في كل المصاحف العثمانية, وقرائتها – عند جميع القراء بلا إستثناء – تخالف هجائها الذي رسمت به, ولو كانت القراءة تؤخذ عن الاجتهاد في قراءة الكلمات حسب ما يقضي به هجاؤها أي رسم خطها, لوجدت قراءات تطابق هجاء تلك الكلمات[٢٤] .ومن تلك الكلمات.

١) كلمات: الصلاة, الزكاة, الحياة, الربا, مشكاة, مناة.

رسمت كلها بالواو بدلاً من الألف (الصلوة, الزكوة, الحيوة, الربوا, مشكوة, منوة) ولم يقرأها أحد بالواو على الإطلاق[٢٥].

٢) كذلك (وإذ قتلتم نفساً فأدارأتم فيها)[٢٦] كتبت بلا ألف بعد الدال, ولم يقرأها أحد كذلك مع أن اللغة تسمح بذلك وإنما قرئت بألف بعد الدال[٢٧].

٣) (لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه)[٢٨] رسمت بألف بعد لا هكذا (..... أو لأذبحنه) ولم يقرأها أحد كذلك أبداً وإنما قرئت بإسقاط تلك الألف[٢٩] . وغيرها من الامثلة التي تؤكد ان القراءات جاءت تلقياً عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم عمن تلقى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) .ويؤكد بروكلمان مقولة جولد تسيهر في قوله: " حقاً فتحت الكتابة، التي لم تكن قد وصلت بعد إلى درجة الكمال، مجالاً لبعض الاختلاف في القراءة، ولاسيما إذا كانت غير كاملة النقط، ولا مشتملة على رسوم الحركات، فاشتغل القراء على هذا الأساس بتصحيح القراءات واختلافاتها ... " [٣٠].فقد عدوا أن الخط العربي آنذاك غير ناضج، وعدم نضجه هو الذي خلق– بنظريهما– القراءات القرآنية، والباحث يميل إلى موافقتهم في عدم نضج الخط العربي آنذاك، ولكنه لا يجاريهم في كون عدم النضج سبباً في نشأة القراءات اذ إنّ القراءات القرآنية علم نقلي وشفوي، تعتمد السند الصحيح المتواتر، ولا تؤخذ من المصاحف المكتوبة، لِذا أُشتهر في الأثر بأنّ القراءة سنة متبعة[٣١]، أي لم تنشأ القراءة القرآنية عن رسم المصحف؛ لأنّ "القراءة هي الأصل، وأنّ الرسم تابع لها .... [٣٢].ويعلل جولد تسيهر ايجاد رسم المصحف برغبة التوحد كما بقوله: ليس هناك نص موحد للقرآن ومن هنا نستطيع أن نلمح محاولة التفسير، والنص المُتَلَقى بقبول القراءة المشهورة، الذي هو لذاته غير موجود في جزئياته، يرجع إلى الكتابة التي تمت بعناية الخليفة الثالث عثمان دفعاً للخطر الذي اوشك ان يقع في رواية كلام الله تعالى في مختلف الدوائر على صور متغايرة وتداوله في فروض العبادة على نسق غير متفق، فهي إذا رغبة في التوحيد ذات حظ من القبول [٣٣].

اذ منشأ الاختلاف في القراءات المعتمدة راجعا عند جولد تسيهر الى خصوصية الخط العربي موردا أمثلةً تؤيد رأيه الآية كما بقوله: (وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ)[٣٤] . قرأ بعضهم بدلاً من (تستكبرون) بالباء الموحدة، وفي قراءة (تستكثرون) بالثاء المثلثة [٣٥].

المستشرقون وموافقة القراءات للعربية

وأما الشرط الثالث من شروط القراءات القرآنية فهو موافقة اللغة العربية ولو بوجه منا للقراءة القرانية، ذلك لأن القرآن بلسان عربي مبين، فلا تخرج إحدى قراءاته عن وجه ما من وجوه كلام العرب السائغة في لغتهم، والشائعة على ألسنتهم، وهي كلها تدور بين الفصيح والأفصح، إما مجمعاً عليه أو مختلفاً فيه. يذكر جولد تسيهر بوجوب مطابقة القراءات لقواعد اللغة العربية، ثم يقول: فقد كانت توجد دائماً رؤوس مستقلة الفكر، ولو انها اغفلت اخطاء هؤلاء الظاهرة او تسامحت فيها او سوغتها في بعض الاحيان ولكنها لم تعتبر هؤلاء القراء المجمع عليهم مقدسين لايمسون، وإن غض النظر عنها قراء ثقات، معترف بهم، أو تسامحوا فيها[٣٦]، ثم يتهم القرآن الكريم وجهود العلماء حوله بقوله: وكان بغيضاً إلى علماء الدين ذلك التدخل الذي تبعثه الخلافات المدرسية من قبل علماء العربية على وجه الخصوص، على الرغم من أنهم عادة كانوا يبذلون جهوداً كبيرة في تسوية مشاكل القرآن اللغوية.. نعم في أزمنة أقدم من ذلك حصل الاعتراف أيضاً بقراءات اقتضتها ضرورة المطابقة بين قواعد النحو الدقيقة، وبين صيغ لفظية، وتراكيب جملية تخالفها، من ذلك مثلاً ما جاء في الآية التاسعة من سورة الحجرات: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا} حيث يعود الضمير جمع المذكر (اقتتلوا) على مثنى المؤنث (طائفتان).. وفي أزمنة متأخرة عن ذلك اشتد النكير على استعمال التصحيح النحوي [٣٧]. ومن جهة أخرى يتهم جولد تسيهر المسلمين جميعاً وفي مقدمتهم صدور الصحابة، وَكُتَّاب المصحف بالغفلة والسكوت

على الخطأ بقوله: "إن النص المُتَلَقي بالقبول يعتمد على إهمال من الكاتب.. وفي المواضع التي تبدو فيها مفارقات نحوية يجب النظر إليها على أنه خطأ كتابي وقع فيه كاتب غير يقظ، وفي وقت متأخر فقط اجتهد الذكاء وحدة الذهن في قواعد العربية لتسويغ صحة المواضع المشار إليها من جهة العربية.. أما المدرسة القديمة فلم تحاول ذلك بل آثرت أن تبقي نص الوحي على ما يعتوره من مآخذ،.. وحصل العمل بنفس هذه الوجهة من النظر في مشكلات نحوية أخرى" [٣٨] كما يراها جولد تسيهر ويعد منها موضعين – من القراءات المتواترة[٣٩] – خطأ لغوياً يرجع إلى السهو والغفلة، سكتت عنهما المدرسة القديمة، معتمداً على روايات باطلة مردودة بما أجمع[٤٠] عليه المسلمون في خط المصحف وقراءاته المتواترة، وموافقتها للغة العربية من حيث يجهل – أو يعرف ويتعمد – جولد تسيهر ومعه المستشرقون.

المطلب الثالث: المستشرقون وموقفهم من قراءات الايات (نماذج تطبيقية)

يتناول هذا المطلب الرؤية الاستشراقية تجاه بعض الآيات التي جاءت فيها اكثر من قراءة وكيف تم توجيهها .مثلاً: ما يذكره جولد تسيهر كما في قوله: "وفي الآية الرابعة والتسعون من سورة النساء وردت حالة كثيرة الإفادة إذ تنطبق الظاهرة المذكورة آنفاً على كل حرف تقريباً من أحرف كلمة فيها:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا} ؛ فبدلاً من: (فتبينوا) قرأ جماعة من ثقات القُراء: (فتثبتوا) والهيكل المرسوم يحتمل قراءتين وعلى كل حال لا تسبب هذه الاختلافات وما شابهها فرقاً من وجهة المعنى العام ولا من جهة الاستعمال الفقهي" [٤١]. وكذلك في اية اخرى يتناول القراءات وما تسببه من اختلاف نحوي كما بقوله: " آية الثامنة من سورة الحجر:{ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ } فتبعاً لاختلاف القراء في قراءة اللفظ الدال على نزول الملائكة هل هو نُنَزّل، أو: تَنْزلُ، أو...(كل هذه القراءات ممثلة في الأقاليم المختلفة)، تفيد المعنى كل كلمة بما يناسبها: نحن ننْزل الملائكة، أو الملائكة تنْزل، بيد أن هذا الاختلاف في الحركات قد يدعو إلى تغييرات أبعد مدى من حيث المعنى" [٤٢].واحيانا يدعى ان القراء ارادوا استبعاد جميع ما يسيء الى الله او رسوله بتغيير يسير بالنص القرآني، ويستشهد لذلك بقوله: " النص المشهور للآية الثامنة عشر من سورة ال عمران { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ } ادرك بعضهم ما تثيره شهادة الله لنفسه لا سيما مع قرن ذكره بالملائكة واولى العلم على انهم شاهدون معه؛ فاستعانوا على علاج ذلك بالاستعاضة عن قراءة الفعل (شهد الله) بصيغة الجمع (شهداء الله) رابطين ذلك بالسياق في الآية السابقة على ان يكون المعنى الصابرين الصادقين: شهداء الله انه لا اله الا هو والملائكة ... بيد ان ما احدثوا من التعديل المذكور لم يجروا مثله في الآية السادسة والستون بعد المئة من سورة النساء: { لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ} فتركوها بدون تعديل لصعوبة التعديل بها" [٤٣].وكذلك في اية اخرى نجده يتكلم حول قضية النسخ فيقول: " والآية السادسة بعد المئة من سورة البقرة: { مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا } تفيد أنَّ الله يريد ان يسلط النسيان على ما اوحي به وهذا تراءى لبعض العلماء من وجهة النظر الى عدم تغيير الارادة الالهية، تعبيرا أبعد عن اللياقة من نسخ الاحكام الالهية عملا، مع عدم محوها من الذكر والتلاوة؛ حيث تبقى في النص على انها كلام الله، وقد دعت هذه الشبهة الى القراءات التالية: (تنساها) انت يا محمد، (ننسأها)، أي: نرجئها ونؤخرها دون ان نرفعها بالكلية، وبذلك قرأ كثير من الصحابة والتابعين، وعنهم كثير من قراء الكوفة والبصرة واتخذ كثير من المفسرين هذه القراءة اساسا لتفسيرهم، وقرأ سعيد بن المسيب (المتوفى سنة ٩٤هـ = ٧١٢م) المشهور بورعه ننساها بإسناد النسيان الى الله، وبديهي أن سعداً غضب حين بلغه ذلك عنه فقال: (ان القران لم ينزل على المسيب ولا على ال المسيب)."[٤٤] .

الخاتمة

الحمدُ لله على مَا أعانني به لإنجازِ هذا البحث، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

بَعدَ هذه الجولة في كتاب المُستشرق الألماني جولد تسيهر " مذاهب التفسير الإسلامي " ومناقشةِ أفكارِهِ المتعلقة بالقرآن الكريم، انتهيت إلى النتائج الآتية:

١. قرر العلماء ان قبول القراءة يشترط فيه ثلاثة شروط: أ- صحة السند

ب- موافقة وجه من وجوه العربية ج- موافقة رسم من رسم المصحف.

٢. تناول المستشرقون جميع جوانب القراءات القرآنية، من تأصيلها الشرعي، إلى وضعها اللغوي، إلى نقلها التاريخي.

٣. يصف حديث الأحرف بغموض الدلالة وعدم وضوح موقف العلماء منه.

٤. يَرى جولد تسيهر: وليس مفترضا أن يكون القصد تحديد حسابي ثابت مفهوما من عدد السبعة في هذا الحديث ويشكك فيه.

٥. يرجع جولد تسيهر اختلاف القراءات الى اختلاف خط المصحف، ومن تلك الكلمات: الصلاة, الزكاة, الحياة, الربا, مشكاة, مناة، ويعلل ايجاد رسم المصحف برغبة التوحد.

٦. يذكر جولد تسيهر بوجوب مطابقة القراءات لقواعد اللغة العربية، ويتهم جولد تسيهر المسلمين جميعاً، وفي مقدمتهم صدور الصحابة وكتاب المصحف بالغفلة والسكوت على الخطأ.

وصلي اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ثبت المصادر والمراجع

١. إبراز المعاني من حرز الأماني، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥هـ)، دار الكتب العلمية

٢. اجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير . الاستشراق . الاستعمار دراسة وتحليل وتوجيه، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم دمشق، الطبعة الثامنة دمشق ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م

٣. الأحرف السبعة للقرآن، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، تحقيق: د. عبد المهيمن طحان، مكتبة المنارة – مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ

٤. تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة: د. عبد الحليم النجار وآخرون، الهيأة العامة المصرية للكتاب، ١٩٩٣م .

٥. تراث الإسلام،جوزيف شاخت كليفورد بوزورث، ترجمة محمد زهير السمهوري . حسين مؤنس . إحسان صدقي العمد، تعليق وتحقيق شاكر مصطفى مراجعة فؤاد زكريا، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت ١٩٨٩م

٦. الرد على المستشرق اليهودي (جولد تسيهر) في مطاعنه على القراءات القرآنية , محمد حسن جبل ، الطبعة الثانية , لسنة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٢م

٧. الرؤية الاستشراقية للاحرف السيعة والقراءات القرانية ، رجب عبد المرضي عامر، بحث منشور

٨. السبعة في القراءات، ابن مجاهد (٣٢٤هـ)، تحقيق: د. شوقي ضيف، الطبعة الثالثة ١٩٨٨م، القاهرة دار المعارف.

٩. القراءات القرآنية، عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، مركز البحوث التربوية – جامعة الملك سعود , مطابع التقنية – الرياض

١٠. القراءات في نظر المستشرقين والملحدين , عبد الفتاح القاضي, مكتبة الدار , المدنية المنورة.

١١. المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن، اجنس جولد تسيهر، المركز الاكاديمي للابحات، بيروت ٢٠١٣م

١٢. مذاهب التفسير الإسلامي، يقصد كتاب المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لشهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة، ت ٦٦٥هـ.

١٣. معجم القراءات القرآنية، إعداد: د. أحمد مختار عمر ود. عبد العال سالم مكرم، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ، طهران

١٤. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ

١٥. من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، د. عبد المنعم فؤاد، مكتبة العبيكان الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م

١٦. مناهل العرفان في علوم القرآن،محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة: الطبعة الثالثة

١٧. النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣ هـ) تحقيق: علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ) الناشر: المطبعة التجارية الكبرى تصوير دار الكتاب العلمية

١٨. وثاقة نقل النص القرآني الكريم من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أمته محمد حسن حسن جبل ، إستاذ أصول اللغة بجامعة الأزهر , الطبعة الحادية والعشرون, دار الصحابة – للنشر والتوزيع , طنطا .

الهوامش

[1] ـ ينظر: تراث الإسلام،جوزيف شاخت كليفورد بوزورث، ترجمة محمد زهير السمهوري . حسين مؤنس . إحسان صدقي العمد، تعليق وتحقيق شاكر مصطفى مراجعة فؤاد زكريا، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت ١٩٨٩م: ٦٤/١

[٢] ـــــ أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير ـ الاستشراق ـ الاستعمار دراسة وتحليل وتوجيه، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم دمشق، الطبعة الثامنة دمشق ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م: ٥٣

[3] ـ من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، د. عبد المنعم فؤاد، مكتبة العبيكان الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ـــ ٢٠٠١م : ١٨

[٤] سورة الحج، الآية:١١

[٥]. ينظر: الأحرف السبعة للقرآن، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، تحقيق: د. عبد المهيمن طحان، مكتبة المنارة – مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ: ٢٧-٢٨ .

[٦] مناهل العرفان في علوم القرآن،محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة: الطبعة الثالثة:٤١٢/١.

[٧]. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ: ٦٦٨.

[٨]. إبراز المعاني من حرز الأماني، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥هـ)، دار الكتب العلمية: ٧٧٢.

[٩] . النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣ هـ) تحقيق: علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ) الناشر: المطبعة التجارية الكبرى تصوير دار الكتاب العلمية : ٥٢.

[١٠] . ينظر: الرؤية الاستشراقية للاحرف السبعة والقراءات القرانية، رجب عبد المرضي عامر، بحث منشور: ٢٢.

[١١] ينظر: الرؤية الاستشراقية للأحرف السبعة والقراءات القرآنية ، رجب عبد المرضي عامر، بحث منشور: ٢٢ . ٢٣.

[١٢] . ينظر: المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن، اجنس جولد تسيهر، المركز الاكاديمي للأبحاث، بيروت ٢٠١٣م :٤١-٤٢.

[١٣]. مذاهب التفسير الإسلامي: ٦٠، يقصد كتاب المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لشهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة، ت ٦٦٥هـ.

[١٤] . ينظر: المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن: ٤٢.

[١٥] المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن: ٤٢.

[١٦] ينظر: المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن: ٤٠ .

[١٧] سورة الشعراء، الآية: ١٤٨ .

[١٨] ينظر: المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن: ٤١-٤٢ .

[١٩] ينظر: المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن: ٤.

[٢٠] المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن: ٤٤.

[٢١] المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن: ١٠-١١.

[٢٢] ينظر: المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن: ١٠.

[٢٣] ينظر: القراءات القرآنية، عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، مركز البحوث التربوية – جامعة الملك سعود , مطابع التقنية – الرياض: ١٠٩

[٢٤] ينظر: القراءات في نظر المستشرقين والملحدين, عبد الفتاح القاضي, مكتبة الدار, المدنية المنورة، ٥٢ – ٥٣ .

[٢٥] ينظر: الرد على المستشرق اليهودي (جولد تسيهر) في مطاعنه على القراءات القرآنية, محمد حسن جبل، طبعة الثانية, لسنة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٢م: ٤٤.

[٢٦] سورة البقرة، الآية:٢٧ .

[٢٧] ينظر:القراءات في نظر المستشرقين والملحدين:٥٢ – ٥٣, وينظر: محمد حسن جبل, الرد على المستشرق اليهودي جولد تسيهر: ٤٤ – ٤٥ .

[٢٨] سورة النمل، الآية: ٢١ .

[٢٩] ينظر: كتاب الرد على المستشرق اليهودي جولد تسيهر: ٤٤ .

[٣٠] . تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة: د. عبد الحليم النجار وآخرون، الهيأة العامة المصرية للكتاب، ١٩٩٣م: ٣٨٩.

[٣١] ينظر: السبعة في القراءات، ابن مجاهد (٣٢٤هـ)، تحقيق: د. شوقي ضيف، الطبعة الثالثة ١٩٨٨م، القاهرة دار المعارف: ٥٠ – ٥٢.

[٣٢] ينظر: معجم القراءات القرآنية، إعداد: د. أحمد مختار عمر ود. عبد العال سالم مكرم، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ، طهران.: ١/ ٥٨.

[٣٣] ينظر: المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن: ١٠ .

[٣٤] سورة الأعراف، الآية: ٤٨ .

[٣٥] ينظر: المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن:١١.

[٣٦] ينظر: المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن: ٥١.

[٣٧] . ينظر: المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن: ٥٣.

[٣٨] ينظر: المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن: ٣٥-٣٦ باختصار.

[٣٩] هما الآية ١٦٢ من سورة النساء، والآية ٢٧ من سورة النور.

[٤٠] ينظر: القراءات في نظر المستشرقين والملحدين، الشيخ عبد الفتاح القاضي: ١٧٢-١٧٧.

[٤١] المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن: ١١.

[٤٢] المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن: ١٣.

[٤٣]المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن: ٢٦-٢٧.

[٤٤]المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن: ٢٩-٣٠.